« لكننا لم نكد نأخذ فى جمع ما كتب فى ذلك القرن حتى أحسسنا بأنه قد كانت هناك لذلك القرن أصول سابقة ، كما أنه قد امتدت له فروع ، ولا غرابة فى ذلك عند قوم كالعرب ثبت امتداد التقاليد لديهم ، وبخاصة في الأدب ، ليمكن القول بأن كبار الأحداث التي زلزلت حياتهم الفكرية والروحية كالإسلام أولا ، ثم الاتصال بالثقافات الأجنبيـــة وبخاصة اليونانية ثانياً لم تقطع تلك التقاليد»[1] .

هذا ما كنا نتحدث فيه منذ قليل ، فالإسلام أول الأحداث الكبرى التى زلزلت حياة العرب الفكرية والروحية ، ومع ذلك لم يقطع تقاليد الأدب الجاهلي القديم ، وقد بينا من قبل أسباب ذلك . بل إن التقاليد لم تنقطع بهذا العامل الثانى الذى أخذ يؤثر تأثيره القوى ، ويثير من الأفكار والاتجاهات ما لم يكن ليكون من قبل ، ومع هذا ظلت التقاليد متصلة لأن فى انهيارها هدماً للشخصية الأدبية وإهداراً لكيان الأمة وتراثها على نحو ما مر بنا من قبل . . لكن هذه الثقافات يونانية كانت أو غيرها لا تتصل الآن بنا فى شىء ، والسؤال الذى نريد أن نسأله هو الذى يختص بالإسلام ، وقد صوره الدكتور مندور بأنه زلزل حياة العرب الفكرية والروحية . . فهل كان لهذه التقاليد التى امتدت أن تعوق هذ الزلزال عن التأثير فى الأدب . وإلا فكيف يكون زلزالا يهز الفكر والروح — وهل بعد ذلك شىء — ثم لا ينعكس على الأدب ، وإنما يبقى الشعر كأنه جلمود صخر ينحط دون أن يعى أن شيئا ما قد وقع .

لكن وجه التأثير — تأثير الإسلام — من حيث مظاهر هذا التأثير فى الشعر ونتائجه — فهو ما لا يتحدث عنه الدكتور مندور فيما سبق ، ولكن الذى قصد إليه إنما هو تصوير التقاليد من حيث امتدادها دون

---

(١) النقد المنهجى عند العرب ص ٥ .